التغيرات الدينية في مصر القديمة وظهور عبادة التفريد للإمبراطورية المصرية في عهد امنوفس الرابع (اخناتون)

أ.م.د. ليث خليل خلف
قسم التاريخ - كلية المأمون الجامعة
Laithkhalil@yahoo.com

التقديم: 2021/5/1
القبول: 2021/8/15
النشر: 2022/6/15

Doi: https://doi.org/10.36473/ujhss.v61i2.1352

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licenses

الملخص

كان للدين دوراً هاماً في حياة الإنسان بوادي النيل، لم توجد تأثيرات تؤثر علية مثل الدين بشكل مباشر، وكان المصريون القدماء يستخدمون كل شيء محيط بهم من الظواهر يجدون له تفسراً دينياً. فحياة الإنسان المصري مرتبطة ارتباط وثيق بالدين، وكانت الظواهر الكونية والفلكية هي المبشر الأول للدين وفسر الانسان الاشياء التي يعجز عن فهمها انها تعود الى قوه خارقة للعاده، والخوف منها دعاه لاحترامها والخضوع لها، ومن هنا نشأت الديانة. على الرغم أن الانسان لم يشاهد هذه القوي لكنه مؤمن بوجودها، وعمل لها صور في مخيلته، بل اعتقد انها كالبشر يمكن إرضائها بالقرابين، حتى استقر في وعيه الصلة الروحية بينه وبين الآلهة فأحبها واعتمد عليها. لم يؤمن المصري القديم بدين واحد، فوجد دين الدولة الرسمي وهناك المقدسات الشعبية والعقيدة لكل قرية أو مدينة تسير جنبا إلى جنب دون تعصب أو تناحر.

الكلمات المفتاحية :التغيرات الدينية، مصر القديمة، عبادة التفريد، امنوفس الرابع ، اخناتون

المقدمة

يعتبر الدين واحد من اهم الركائز المهمة في الدولة والمجتمع حيث يتناول البحث (التغيرات الدينية في مصر القديمة وظهور عبادة التفريد للامبراطورية المصرية) في عهد امنوفس الرابع (اخناتون) هذا شخصية اخناتون الموحد لعبادة الله الواحد الاحد الذي يتمثل في قرص الشمس وصفاته ويتناول آراء المؤرخين والنقاد في الثورة الدينية التي حدثت في مصر على يده كانت اول محاولات لتوحيد (تفريد) عبادة الاله الواحد ويتناول التغيرات التي حدثت في عصره . حيث دعا الى التفريد أي عبادة الاله الواحد ونبذ كافة تعدد الآلهة التي

كانت تعبد في مصر وهناك عدة عوامل أدت الى فشل الثورة الدينية التي قام بها المصلح الديني اخناتون ومن هذه العوامل قلة خبرته السياسية وكذلك كان شاباً صغيراً في السن تعوزه الخبرة والمعرفة .

وتناول بحثي في المبحث الأول السيرة الذاتية والإنجازات السياسية والحضارية لاخناتون وتكلمت في الفقرة الأول عن صفات اخناتون ذلك المصلح الديني العظيم وشخصية واسعة وكان اخناتون هو احد فراعنة الاسرة الثامنة عشر التي حكمت مصر القديمة وهو ابن الفرعون امنحتب الثالث وكان اخناتون اول شخصية نادت بعبادة الاله الواحد الاحد في التاريخ وكان اول شخص يهتدي بالمثل العليا في العالم ومن صفاته انه كان يميل لمعرفة الحقيقة وتناولت الفقرة الثاني التفريد وعبادة الاله الواحد حيث انكر الفرعون اخناتون وجود جميع الالهة الاخرين ما عدا الاله (اتون) الذي تتمثل قوته في قرص الشمس حيث ان اخناتون قام بشكل تدريج بالتغيير الديني الذي كان يخبئه في قلبه، وتناول الفقرة الثالث المميزات التي ميزت عقيدة اتون عن باقي العقائد الدينية التي كانت سائدة في مصر ومنها تنزيه الاله ان يكون له شبيه او نظير فلم ينحت له التماثيل بعكس الالهة المصرية القديمة التي تم تصويرها بهيئة إنسانية او حيوانية او مركبة ولم تعترف عقيدة اخناتون بالاساطير والتقاليد القديمة وتناول الفقرة الرابع الفن المصري والفن في عصر اخناتون حيث عبر الفن المصري في عهد اخناتون عن عزة النفس والسلطان والحياة الخالدة بنجاح لا يقل عن نجاح الفنان في أي وقت من الأوقات حيث الفن في عصر اخناتون السهولة والبساطة بعد ان كان عكس ذلك حيث تناول المبحث الثاني اراء المؤرخين والنقاد في الانقلاب الديني الذي احدثه اخناتون امنوفس الرابع في مصر القديمة حيث تناول الفقرة الأول من المبحث الثاني الحياة الاجتماعية في عصر اخناتون لعل التاريخ البشري لم يذكر لنا عصراً حدث فيه مثل ما حدث في عصر اخناتون من دعوة حاسمة لتغيير شامل في كل مظاهر الحياة في مصر ليس فقط تغير وانما تغير اجتماعي أراد اخناتون من ذلك إزالة الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع من خلال المساواة وتناول الفقرة الثاني اراء المؤرخين والنقاد حيث اختلفت الآراء قديماً وحديثاً في تقويم اخناتون وحركته ومنهم من رأى فيه ثائراً ومفكراً ومصلحاً دينياً ومنهم من اعتبره مراهقاً ومغامراً حيث تقاربت الآراء حوله حيث رأى الاثري الشهير جلانيفل ملكاً لا يستحق سواء اللوم والتأنيب حيث ارتقى بعض المؤرخين بأخناتون الى درجة عالية من الطهر وحب الإنسانية وتناول الفقرة الثالث المدينة التي أقامها الملك من اجل الالهة الجديدة وهي مدينة اخت اتون او تل العمارنة كما يطلق عليها المؤرخون حديثاً وتناولنا في هذا المبحث كيف نقل اخناتون العاصمة من طيبة الى المدينة الجديدة وكيف هجر اخناتون مدينة اباءه واجداده من اجل الاله ان فكرة نقل العاصمة لم تكن لغرض الانتقام من الكهنة وانما الهدف منها نشر دعوته للتغيير الدين وعبادة التفريد بشهل هادئ. وتناول المبحث الثالث العوامل التي أدت الى فشل ثورة اخناتون الدينية وتناول الفقرة الأول الديانة الاتونية حيث تعد ديانة اتن اقدم ديانة موحدة في تاريخ العالم حيث رأى اخناتون من خلال هذه الديانة ان يكون الدين في متناول جميع الناس وليس طقوساً يمتهنها الكهنة غايتهم الانتفاع والنفوذ . وتناول الفقرة ثانياً العوامل التي أدت الى فشل ثورة اخناتون كان في مقدمة هذه العوامل ان

اخناتون كان في بدء دعوته وما يزال شاباً طري العود وقليل الخبرة ويعوزه النضج السياسي يضاف الى هذه العوامل عامل اخر هو ان العقيدة الجديدة طرحت مفاهيم ومعتقدات دينية وغريبة لم يعرفها المصري القديم .

التمهيد

تعدد الالهة عند المصريين القدماء

كان للدين دوراً هاماً في حياة الإنسان بوادي النيل، لم توجد تأثيرات تؤثر علية مثل الدين بشكل مباشر، وكان المصريون القدماء يستخدمون كل شيء محيط بهم من الظواهر يجدون له تفسراً دينياً. فحياة الإنسان المصري مرتبطة ارتباط وثيق بالدين، وكانت الظواهر الكونية والفلكية هي المبشر الأول للدين وفسر الانسان الاشياء التي يعجز عن فهمها انها تعود الى قوه خارقة للعادة، والخوف منها دعاه لاحترامها والخضوع لها، ومن هنا نشأت الديانة. على الرغم أن الانسان لم يشاهد هذه القوي لكنه مؤمن بوجودها، وعمل لها صور في مخيلته، بل اعتقد انها كالبشر يمكن إرضائها بالقرابين، حتى استقر في وعيه الصلة الروحية بينه وبين الآلهة فأحبها واعتمد عليها. لم يؤمن المصري القديم بدين واحد، فوجد دين الدولة الرسمي وهناك المقدسات الشعبية والعقيدة لكل قرية أو مدينة تسير جنبا إلى جنب دون تعصب أو تناحر. كانت المصريين القدماء يؤمنون بفكرة البعث والحساب وحياة ما بعد الموت تمثل بميزان، حيث يقوم اثناء التحنيط بوضع قلب الميت في الميزان وتوضع ريشة من الإلهة "ماعت" في الميزان من الأخرى، وتكون هنالك 42 قاضي بعدد أقاليم مصر العليا والسفلى عبارة عن محكمه. فإذا ثقلت كفة قلبه في الميزان يدخل الفردوس، وذا ثقلت الكفة في الميزان وهي ريشة الاله يدخل السعير. وقد صوّر السعير على هيئات كثرة منها الحيوان المفترس.

كانت ثورة اخناتون الدينية ضد إرادة شعب مصر المتعدد الديانات، وهذا التعدد لم يؤد للتناحر أو التعارض في يوم من الأيام بل كان له أثر طيب ومحمود لدى شعب زراعي مرتبط بالأرض ومحبا لمقدساتها وآلهتها دون تفريق. أيضا محاولة اخناتون محو جميع الديانات وارغام الشعب على اعتناق دين واحد وعبادة رب واحد هو آتون أغضب كهنة الديانات الأخرى وعلى رأسها كاهن أمون رع القوى «آي» الذي استغل السخط الشعبي واستمال إليه حور محب قائد الجيش الغاضب من استهانة الفرعون من تمرد ولاة المستعمرات المصرية في الشمال والجنوب ومحاولاتهم التخلص من حكم مصر بل وغزو أجزاء منها، وأوعز له أن يتخلص من أخناتون بوعد تزويجه بإحدى الأميرات وإعطائه بعض الألقاب التي تخول له عرش مصر مستقبلا. وقد أجبر حور محب ولى العرش توت عنخ آتون على الاشتراك في المؤامرة والانقلاب على ديانة اخناتون دون رغبة منه ولكنه انصاع لضغوطه مجبرا، وتمت المؤامرة على اخناتون الحالم المسالم الذي لم يكن متوقعا لخيانة رفيق دربه وولى عرشه. وطورد الملك مع زوجته وأفراد عائلته وأتباعه حتى فاروس "الإسكندرية الآن" حيث اتخذوا بعض سفن الاسطول فرارا حتى وصلوا إلى البحر الكاريبي وأسسوا ملكا جديدا هناك. (حسن ، 2000، ج5 ، ص 270).

عرف المصريون القدماء مبدأ تعدد الالهة بدءًا من عبادة الظواهر الطبيعية وانتهاءً بتقديس الأفكار والرموز شأنهم شأن معظم المجتمعات البشرية القديمة آن ذاك وكان لكل إله قوة معينة نابعة من قوة الجماعة التي تؤمن به فبرز على مسرح التاريخ المصري القديم العديد من الالهة الأقوياء ذي المكانة السياسية بدء من الاله الشمس رع والاله آمون وانتهاءً بالإله آتون فقوة الاله تأتي من قوة الجماعة التي تؤمن به أو المؤمنة بذلك الاله وعند مجيء إمنوفس الرابع الى العرش المصري كان كهنة الاله آمون قد جعلوا منه الاله الرسمي للدولة برمتها وبحدودها الجغرافية الجديدة.(المرعي، 2011، العدد 2 ، المجلد (1) ، ص 201).

ويأتي في مقدمة الالهة المصرية القديمة الاله رع اله الشمس الذي يعد حسب اسطورة الخط المصرية أي خالق ومراقب الكون (عبد الله و مرعي، 2008 ، ص191).

المبحث الأول: السيرة الذاتية والإنجازات السياسية والحضارية الى امنوفس الرابع (اخناتون)

الأول: شخصية اخناتون– اسمه وصفاته والقابه

اخناتون هو أحد فراعنة الاسرة الثامنة عشر التي حكمت مصر القديمة وهو ابن الفرعون امنحتب الثالث والدته الملكة العظيمة (تي) التي كانت من عامة الشعب وكان لأخناتون اخ اكبر منه ولكنه مات عندما كان والده على قيد الحياة (امنحتب الثالث) وكان امنحتب الرابع هو الابن الثاني لامنحتب الثالث هو اول شخصية مصرية دعت الى توحيد او تفريد عبادة الاله الواحد ويدل ذلك على ان هذا الملك الشاب الصغير رغم اعتلال صحته الا انه يمتلك أفكار دينية إصلاحية لإصلاح المجتمع المصري وخدمة الدين المصري في عهد الإمبراطورية المصرية القديمة وقد دخل هذا الشاب الذي غير اسمه من امنحتب الرابع الى امنوفس الرابع التاريخ من أوسع ابوابه واستطاع ان يسجل على صفحات التاريخ اسمه مصحوباً بعبارات التبجيل والتقدير وهو اول من نادى بالوحدانية.(عبد المنعم ، 1961، ج1، ص 112).

وكان اخناتون هو اول دعا لديانة التفريد في تاريخ العالم بإمبراطورتيه الواسعة والمترامية الأطراف حتى أخذ هذا الملك الشاب يوسع وينشر هذا التغير الديني الذي احدثه خارج مصر وقد كان اخناتون يسيطر على فكر حلم (دين الحب) على كل ما عداه. (فيلافسكي ، 1995، ص 249).

كان ملوك الشرق عادة ما يحملون عدة أسماء وقد كان يصل عد أسماء ملوك مصر الى خمسة أسماء لكل واحد منها ولا تقتصر على ما عرف من رسائل تل العمارنة ولكنه ثابت من خلال وثائق مصرية كثيرة (فيلافسكي ، 1995، ص 257).

اما تاريخ الرسائل فيمكن تحديده بدقة لا بأس به لقد كان جل الرسائل موجه الى نيميودا (نى – أب ميو وا دي با ى أم ميو وى يا أم) وهي كلها أسماء لامنحتب الرابع اخناتون امنوفس الرابع (فيلافسكي ، 1995، ص 248).

غير هذا الملك الشاب منذ السنة 6 اسمه ليكون (اخناتون) أي اتون وقد اقدم هذا الملك على تغير العاصمة فانتقل من طيبة الى عاصمته الجديدة التي سماها مدينة الضوء (اتون) العظيم (حسن ، 2000 ، ج5 ، ص 270).

كان اخناتون اول شخص مثالي يهتدي بالمثل العليا في العالم وأول فرد له شخصية متميزة في العالم أيضاً وفوق ذلك هو أول من يؤسس ديانة تختلف عن التي سبقته وهو أول من ينشر ديناً نقياً صافياً من الوثنية والمعبودات الأخرى وهو اول من نادى بديانة التفريد في العالم كله وبعد ذلك أتى الأنبياء والرسل من بعده ينادون بالتفريد وعبادة الله الواحد (هورنونج ، 2010، ص28).

ان اخناتون اعتبر نفسه ممثلاً عن الاله في الأرض (لالويت، ، 2005، ص 104). ونشأ الفرعون امنحتب الرابع (اخناتون) واسمه الحقيقي (نيفر–فيبرو–رع–الوجه الجميل لرع . كبر امنحتب الرابع الشاب في هذا الجو الذي سيطر عليه كهنة آمون وتصادم مع الواقع ويحب الحقيقة وينشر الصدق وهو مرهف الحس لذلك رفض مفاهيم كهنة آمون وتصادم معهم حيث أن اخناتون لم ينجب ولد يتسلم العرش بعده وانجب ست بنات من زوجته الجميلة نفرتيتي.

يظل اخناتون في جوهره ويصرف النظر عن كل ما يمكن ان يقال لصالحه حاكماً شمولياً وإذا كان يجهل كل الجهل حق الفرد أن يختار بحرية ولقد انتصر لوجود قوة سماوية عليه تطلب خضوعاً عالياً وتزعم انها الحق الكلي (ريد فورد، 2010، ص 256).

تشير الاحداث ان اخناتون لم يتبع سياسة حازمة (ريد فورد، 2010، ص 216). وقد وصف أحد المؤلفين ان اعظم الفراعنة الذين حكموا مصر في حكم الاسرة الثامنة عشر والمملكة الحديثة هو امنحتب الرابع الذي غير اسمه بعد ذلك الى فرعون او المارق الأعظم بعد ذلك (فيلافسكي ، 1995، ص 38).

كان الفرعون (اخناتون) اول شخصية في التاريخ القديم يحقق مكاسب مهمة في الفكر الديني والاعتماد على الأدلة والبراهين بسلطه الاله على جميع المخلوقات وليس بالانتحال والاساطير والخرافات (الدريد ، 1992 ، ص5).

لم يحظ أي فرعون مصري بما حضي به هذا الفرعون الصغير فيما عدا الملكة كيلوبترا باهتمام المؤرخين والاثريين مثلما حظى اخناتون الذي حكم نصف العالم المتمدن لفترة قصيرة من الزمن خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد فلأول مرة نجد احد الفراعنة يخرج خروجاً قويا على الاعراف الموغلة بالقدم التي ظلت مرعية خلال الف سنة وخمسمائة من قبل فأظهر نفسه كمخلوق آدمي في وسط جو عائلي دافئ اننا نجد هنا حاكماً لا يعنيه ان يظهر بمظهر الابطال الفاتحين كذلك لم يهتم بالظهور كملك مقدس منعزل عن الناس (الدريد ، 1992 ، ص15).

هذا هو اخناتون الذي قال عنه في نشيده : "أيها الاله الأوحد الذي ليس لغيره سلطان كسلطان يا من خلقت الأرض كما يهوى قلبك حين كنت وحيداً" بشرهم به وأراد الا يكون مسيطراً على المصريين وحدهم بل

جعله الهاً للأمم جميعاً وكان هذا الاله ليس مجسماً في صورة البشر بل كان هو الحق خالق حرارة الشمس ومغذيها (عبد المنعم ، 1961، ج1، ص 812).

اما الملك امنحتب الرابع زوج الملكة نفرتيتي فقد عمد الى الجهر بتكريس الدعوة نحو عبادة الاله (اتون) إله الشمس وأقام له معبداً في الكرنك بل عمد الى تغيير اسمه الى اخناتون وكذلك أزال اسم امون من اسم والده وإبقاءه على الأسماء الملكية فقط (الربيعي ، 2012، ص217)

يعد اخناتون من الشخصيات العظيمة في التاريخ القديم بل اعظم شخصية برزت في تاريخ الانسان القديم وتتجلى عظمة الانسان في كل العصور بريادته في سعيه الى ازدهار إنسانية الانسان واحساس الانسان وهكذا كان الانسان بإنسانيته وهكذا كان لأخناتون الريادة في هذا الجانب فلم تخص رحمة الهة مصر والمصريين فقط بل تتلت سبق كل فكر يعتقد باختيار الاله لعباده ويخصهم بالرحمة والمغفرة دون غيرهم .

ويعد اخناتون اول من مبدع في كثير من المظاهر الحضارية الإنسانية في الدين او الفن او العلاقات بين الشعوب وقد كان مخلصاً لمبادئه صادقاً في كل ما دعا اليه على الرغم من قوة التقاليد وجبروتها في عصره (أحمد، 2012،ج1، ص 204).

تساعدنا طفولة امنحتب الرابع على تفسير هذا المزاج الصوفي وردود فعله المناهضة للأساليب القديمة ربما أراد الصبي ان يعود الى حياة اكثر رشداً واقرب الى الطبيعة مما كان يعيشه في البلاط الذي كان يعج بالسوريين والفينيقين والى جانب اخر وجود كهنة أقوياء في البلاط يمتلكون ثروات هائلة أراد ان يكرس حياة الدين والابتعاد عن الدسائس السياسية فأراد ان يكون الله على الأرض (لالويت، ، 2005، ص 600).

ولد اخناتون طفلاً ضعيفاً تراكمت عليه الامراض ولازمته طول حياته ويدل ذلك على تراكيب جسمه الغريب فوجهه كان نحيفاً الى درجة الهزل . طويلاً برزت عظامه وتدلت ذقنه واتسعت عينه وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة ان دلت على شيء فهي على طيبة قلبه وحبه للسلام . وحمل رأسه الكبير عنق طويل فوق كتفين منحدرين يتميز جسمه ببطن كبيرة متهدله لا تتناسب مطلقاً معه كما كان فخذاه عريضتين اما الساقان فكانتا رفيعتين بشكل ملحوظ واذا كانت هذه هي الصفات المادية لأخناتون ، فقد كان شديد الذكاءومرهف الحس فيلسوفاً سديد الرأي ذا عقل راجح ونفس صافية يمقت الكذب يحب الصدق وينشره في كل شيء (عبد المنعم، 1961، ج1، ص 37).

كان يميل الى معرفة الحقيقة في ادق تفاصيلها ومظاهرها الى درجة انه ابرز هذا المعنى الجليل فيما سماه المصريون (ماعث) وقصدوا بهذا التعبير (الحقيقة – الصدق – العدالة) وكان اخناتون يؤكد على انه يعيش على الماعث كطعام له وجعل اسمه العائش على الماعث وسمى اصمته الجديدة (مقر ماعث) (عبد المنعم، 1961، ج1، ص 38).

كان اخناتون مثالاً للطهر والأمانة والصدق والإخلاص في حياته الخاصة فلم يرض اتجار كهنة امون بالسحر والرقى (الدريد ، 1992 ، ص6).

الثاني: التفريد عبادة الاله الواحد

كان اول من نادى بالتفريد في الديانة المصرية والعالم كله هو الملك امنحوتب الرابع اخناتون ابن الملك امنحوتب الثالث . حيث انكر الفرعون اخناتون وجود جميع الالهة الاخرين آنذاك ما عدا اله واحد وهو الاله (اتون) الذي تتمثل قوته في قرص الشمس (اسمان ، 2006، ص ص 5-6).

وكان رع هو الاله الأوحد بين الناس والالهة والكاهن الأعظم لجميع الالهة التي عبدها المصريون (احمد، 2012، ج1، ص 35).

لم يكن للمصريين دين رسمي واحد قبل مجيء اخناتون للحكم نتيجة تعدد الالهة في المقاطعات المصرية وبالتالي لم تكن معتقداتهم الدينية موحدة فكان التشريع لعبادة الالهة في المقاطعات منوطة بالكهنة من أصحاب النفوذ وغالباً ما كان يأتي تغليب معبود اخر نتيجة الغلبة العسكرية لإقليم على الاخر (الجمال ، 2012، ص 202).

ان هذا الدلائل التي تذكر ان التغيير الديني الذي قام به اخناتون لم بمرة واحدة حدث وانما بداياته قد جاءت من اسلافه الانهم لم يكن متفرغين له بسبب تثبت سلطه الحكم والنفوذ في الاقاليم التي تخضع للإمبراطورية (حسن ، 2000 ، ص 266).

دعا اخناتون الى عقيدته القائمة على نبذ مبدأ تعدد الالهة وعبادة الاله الأوحد الواحد المتمثل بعبادة الاله الشمس اتون اوجد لهذا الاله صفات ومزايا واهمها له كونه نبياً وداعياً له (المرعي، 2011 ص191-192).

توجه امنحوتب الرابع الى الدعوة لعبادة الشمس من خلال الدعوة الى عبادة (اتون) القوة الكامنة في قرص الشمس ثم اقام معبداً لاتون على مقربة من معبد الكرنك وهكذا احترام امنحتب الرابع الالهة المصرية في مطلع حكمه وكل ما فعله هو توجهه نحو العبادة الشمسية وتقدير كل الهتها مثل الاله رع (اله الشمس) والاله حور اختي اله السماء ولم يكن اتون الذي جعل منه امنحوتب الرابع الهه المفضل حديث عهد في مصر فأسمه معروف في مصر منذ أيام الدولة القديمة وقد ورد اسمه في نصوص الاهرام (احمد، 2012، ج1، ص ص 204-205).

سعى اخناتون في بداية دعوته للاتونية المرتبطة بعبادة الاله اتون الى التفاهم مع كهنة امون لتبني دعوته او للوصول الى حل وسط معهم ولكن رفض هؤلاء المطلق لأي مساس بمعبودهم امون او التجاوز نفوذهم وسلطاتهم الدينية جعلته يعقد العزم على انهاء عبادة امون وتشتيت كل ما يمت اليه بصلة (الجمال ، 2012، ص 202).

عمل على ان يجعل من اتون الاله الأول والاوحد للإمبراطورية فبنى له معبداً في طيبة معقل كهنة امون كما اقام في الكرنك قلب مدينة امون معبداً للإله اتون في تحدٍ واضح لديانة اتون كما عمل على شطب اسمه عن كل الاثار الموجودة في طيبة وغيرها من المدن (الجمال ، 2012، ص 203).

هذا هو اخناتون الذي دعا الى عبادة (اتون) الهاً واحداً ليس له مثيل وصورة بهيئة قرص الشمس يرسل اشعته على الكون ممتدة بأيد بشرية فتفيض على الخلق بالجود والعافية (عبد المنعم، 1961، ج1، ص 39).

وان التنافس على الحكم عندما خلف امنحتب الرابع والده امنحتب الثالث وميل الملك الشاب الى اله الشمس القديم وترك الدين امون الذي اطلق عليه اتباعه (امون رع) قاصدين بذلك انه اتحد مع اله الشمس (رع) وبينا كذلك ان امنحتب الرابع في بداية حكمه بالمهب الجديد الشمس ربما كان قصده التوفيق بين الدينين.

كان هذا فيه الوقت الذي كان البلاد في بلاد الشام صعب جدا و كان الملك مهتم بتسلط العالمي لإله الشمس الذي ادركنا في أيام والده فأعطى هذا الملك اله الشمس اسماً جديداً فرجع الى اله الشمس يسمى وقتها (اتون) (عبد المنعم، 1961، ج1، ص 297).

لم يكتفي على وهب اله الشمس اسما جديدا بل قام الملك بوهب رمزاً جديداً وهو رمز لإله الشمس كان هو الشكل الهرم وايضا رمز له بالصقر واصبحت هيئة ذلك الطائر تدل علية (حسن ، 2000 ، ج5، ص 297).

كان الرمز الجديد الذي ظهر بقرص الشمس تطلع منه اشعة منتشرة فوق سطح الارض كل شعاع ينتهي بيد بشرية وحور اختي (صور الأفق) وفي الأفق باسمة الحرارة التي في (اتون) و التي ترجمة في اسم ذلك الملك : (حرارة) ممن تكون بمعنى "نورا" أيضاً وان الدين الجديد قد اخذ وحيه من مدينة "هليوبوليس" ان الحاكم الذي كان يحصل على لقب الكاهن العظيم للاله (اتون) سمى نفسة (الرائي العظيم) (حسن ، 2000 ، ج5، ص ص 298–299).

اختلفت دعوة اخناتون عن سابقيها بوحدانية هذا الاله دون شريك وعالمية هذا الاله حيث كان رب كل الناس المصريين والأجانب واراد اخناتون بهذا الدين الجديد ان يحل محل القومية المصرية .

كانت للحياة الدينية مكانه هامه في الحضارة المصرية القديمة حيث اكتشفوا المصريين القدماء التفريد وكانوا اول ديانة توحيدية او تفريدة في العالم القديم قام بها الفرعون اخناتون والذي جاء بتغيير الدينية وهو التفريد الالهة في عبادة اله واحد هو اتون ورمز بقرص الشمس وجسد بالصقر صورة له.

الثالث: مميزات عقيدة اتون في الفكر الأخناتوني

تقوم عقيدة اخناتون على مبدأ التوح التفريد يد المتمثل بعبادة الاله اتون وترك الالهة القديمة بدليل

1. تنزيه الاله من ان يكون له شبيه او نظير فلم ينحت له التماثيل بعكس الالهة المصرية القديمة التي تم تصويرها بهيئة إنسانية او حيوانية او مركبة ربما ان الصورة قد الغيت فلم يعد وجود للمواكب وانما كان الملك بمفرده وهو النسخة الصادقة بطريقة يمثل أبيه (اتون) ويقدم نفسه للشعب الذي كان يستطيع على هذا النحو ان يتمثل فيه بطريقة ما الاله الذي يتحلى فقط في قرص الشمس .

2. ان دعوة اخناتون لم تعرف التثليث (الزوج–الزوجة–الابن) الذي عرفته الديانة المصرية القديمة مثل (امون–موت–خونسو–وبتاح–سخمت–نفرتم–اوزريس–ايويس) (المرعي، 2011 ص191).
3. كان (اتون) الهاً عالمياً لجميع الشعوب ولم يكن الهاً خاصاً ببلد دون الاخر ، وخلق البشر والانعام وكل ما يسعى على الأرض بقدم ويدب في الفضاء بنجاح (ارمان ، د.ت ، ص 280–281).
4. لم تعترف عقيدة (اخناتون) بالأساطير والتقاليد القديمة ومنها اسطورة اوزيريس حيث لم يرد ذكر في وثائقه أو في القبور العمارنة ونبذ الأسطورة التي تقول ان النيل انما هو (اوزير) ونسب الفيضان الى قوة الطبيعة يسيطر عليها اتون الذي خلق البلاد الأخرى نيلاً في السماء .
5. وخلت عقيدة اخناتون من ذكر المعارك التي كان على اله الشمس ان يخوضها اثناء مسراه كي تخلو من القوة الماحقة التي كانت الديانة القديمة تنسبها اليه.
6. قضى (اخناتون) على كل أنواع الشعوذة التي كان يمارسها الكهان في الديانة من قبل فأعمال السحر التي كان يقوم به الكاهن لحماية الميت بعد موته (المرعي، 2011 ص292–193).
7. قامت عقيدة (اتون) على أساس التمسك بماعث والتي تعني الحقيقة والعدل والأصول وهي الأساس الذي خلق عليه العالم وهي ابنة رع وذات عبادة واسعة الانتشار كانت الطقوس تؤدى في مكان مكشوف وفي وضح النهار حيث يتم تقديم القرابين من الطعام والشراب وحرق البخور امام الذبحة على العكس من تأديتها في المعابد القديمة (مكاوي، 1995، ص 123)
8. مالت هذه العقيدة الى التفكير بالحياة بدلاً من الموت ولكنها ضلت تؤمن بأن الموتى يسكنون العالم السفلي وان الروح تستطيع الخروج من المقبرة والعودة اليها وظلت الروح تمثل في هيئة طائر بجسم فوق الجثة كما ظل الاعتقاد بأن الميت يتقبل القرابين (بيومي، 1988 ، ج3 ، ص ص 184–186).
9. اخذت عقيدة (اخناتون) بالعبادات الجنائزية القديمة فاستمرت الجثة تحنط والمومياء تدفن في القبر المزود بوسائل حياة الميت والاحشاء الداخلية في اربع أوان كأنبوبية تكون على رأس المتوفى (بيومي، 1988 ، ج3 ، ص ص 183).
10. كانت تلك الطقوس وتتضمن عبادة اتون غناء أناشيد وتقديم القرابين على اختلاف أنواعها للإله بحضور الملك والملكة وكان للموسيقى في هذه الطقوس فإلى جانب الهلاهيل التي تلعب به الكاهنات خلال الاحتفال بأشراف الاميرات توجد فرقة من المغنين والمغنيات والموسيقيين والموسيقيات يقومون بعملهم خلال العبادة خارج بوابة المدخل (المرعي، 2011، ص193).

نستنتج مما تقدم بأن عقيدة اتون قامت على مبدأ التفرد المتمثل بالإله اتون هذا اولاً وتركيزها على حب الحياة والتفاؤل والسعادة والقيام بالأعمال اليومية بروح ايمانية عالية وحيوية بدليل تمثال الملكة بدلاً من الالهتان (ايزيس ونفتيس) على اركان التابوت أي نبذ فكرة الملك الميت من خلال غناء الأناشيد وتأدية الطقوس في أماكن مكشوفة .

المبحث الثاني: آراء المؤرخين والنقاد في الانقلاب الديني الذي احدثه اخناتون امنوفس الرابع في مصر القديمة

الأول :الحياة الاجتماعية في عهد اخناتون

نهب مع اخناتون بعض من رجال الدولة غير أنه رفع من الى مناصب عليا عدد كبير من ابناء عامة الشعب وقد يتباهون في نقوشهم بأصلهم القديم (حسن ، 2000، ج5 ، ص 399).

ولعل التاريخ البشري لم يذكر لنا عصراً حدث فيه ما حدث في عصر اخناتون من دعوة حاسمة لتغيير شامل في كل مظاهر الحياة في مصر وليس فقط تغيير ديني وكذلك تغيير اجتماعي أراد من ذلك إزالة الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع من خلال المساواة وكذلك ليضع حداً لكهنة امون ولنفوذهم المتزايد خاصة في الاسرة الثامنة عشر بحيث حصلوا على سلطات عالية وكبيرة في مصر.(عبد المنعم، 1961، ج1، ص 104).

اكتسبت حركة اخناتون بعداً شعبياً واجتماعياً في بدايتها . وذلك انها جاءت في جانب منها استجابة لمعاناة اجتماعية ومزمنة شهدتها مصر منذ عهد الدولة القديمة نتيجة التفاوت الطبقي الحاد والتناقضات الاجتماعية والاقتصادية السائدة ولقد حملت الاتونية دعوة الى التقارب بين طبقات المجتمع في ظل آتون الذي لا يميز بين المخلوقات .. تسطع على الأرض وعلى جميع مخلوقاتك بأشعتك أنت معطي نفس الحياة لكل مخلوقاتك .. الانشودة الكبرى .(الجمال ، 2012، ص 209).

من المؤكد ان مصر كانت مقبلة على تغيير كبير بعد انفتاحها على الحضارات المجاورة وخاصة تغيير اجتماعي نتيجة الفساد الاجتماعي في عهد الكهنة (أحمد، 2012، ج1، ص 205).

وحملت الاتونية أيضاً الحض على الحب والتعاون والصدق والصراحة واحلال الفرح والغناء والموسيقى في الحياة والرغبة في النور والصفاء والابتعاد عن الظلام والعتمة وحاول اخناتون في تصرفاته التقرب من العامة والطبقات الشعبية فرفض الفصل الطبقي بين الخاصة والعامة فاختلطت في مدينته قصور الأغنياء بدور الاتباع والاوساط الشعبية وسعى الى ازالة الحواجز بين الحاكم والشعب التي أقامها الكهنة وكبار رجال الحاشية والموظفون وعمد الى اسقاط التقاليد الملكية فضمت حاشيته اشخاصاً لم يكونوا في عداد طبقات الاشراف (الجمال ، 2012، ص 209).

تعمّد في النقوش التي صورته مع عائلته ان يظهر انه ينعم بحياة عائلية تسودها الالفة والحنان الى جانب زوجته (نفرتيتي) وحولهما بناتهما .

لكن محصلة ثورة اخناتون الدينية انعكست انقساماً حاداً في المجتمع المصري ما بين قوى محافظة متمسكة بالتقاليد والقيم الاجتماعية القديمة وما بين فئات تدعو الى التجديد وتريد ان تعم هذه الثورة على شتى جوانب الحياة الاجتماعية وأن تنفض عن كاهلها القيم القديمة التي كانت تحول بينها وبين ارتقاء السلم الاجتماعي وتحقيق طموحاتها وكانت هذه الفئات تتمثل خصوصاً في بعض الطبقات الوسطى والشعبية والجنود في حين كانت القوى المحافظة تتشكل من افراد العائلة المالكة والطبقات الارستقراطية والاقطاعية الى

جانب الكهنة و كبار الموظفين وقواد الجيش وافراد الحاشية من أصحاب الحظوة والنفوذ الذين رأوا في حركة اخناتون تهديداً لمصالحهم كما انضم الى جانبهم التجار والحرفيون الذين تضررت مصالحهم نتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية.

يبدو ان حركة اخناتون قد فتحت الأبواب واسعاً امام المرأة واعطت لمداة دوراً كبيراً في ممارسة شؤون الإمبراطورية بالاشتراك خاصة في عهد امنحتب الثالث وابنه اخناتون وكذلك كانت المرأة دوراً كبيراً برز من خلال الاسرة الثامنة عشرة اما المرأة في العصور او الاسر التي سبقت الاسرة الثامنة عشر لم يكن لها دوراً كبيراً مثلما كان دور الى تي ونفرتيتي (الجمال ، 2012، ص 210).

أحدثت ثورة او دعوة اخناتون الدينية شرخاً في المجتمع المصري وانعكست تداعياتها على شتى جوانب الحياة المصرية خصوصاً الدينية والاجتماعية.(الجمال ، 2012، ص 208).

الثاني :اراء المؤرخين والنقاد في الانقلاب الديني الذي احدثه اخناتون في مصر

لقد اختلفت الآراء قديماً وحديثاً في تقويم اخناتون و حركته فمنهم من رأى فيه ثائراً مجدداً ومفكراً ومصلحاً دينياً ومنهم من اعتبره هرطقياً منشقاً ومراهقاً مغامراً . ومهما يكن من الامر فلا شك في ان التاريخ يسجل لأخناتون جدادته على القيام بأول اصلاح ديني في تاريخ الوثنية القديمة.(الجمال ، 2012، ص 202).

اهتم العلماء منذ اوائل القرن 19 عندما علم المختصون بالمصريات لأول مرة بالأثار و منقوشة على جدران بعض المقابر في مصرالوسطى كان ذلك الاكتشاف المهم منذ الوهلة الاولى محط البحث والتقييم فعده احد العلماء فرعون الاضطهاد واعتبره آخر فرعون الخروج اما البعض الاخر عده ملكاً .

((واما برستيد عالم الاثار الأمريكي فقد امتدحه وقرضه ووصفه بأنه اول شخصية هامة في التاريخ ويرى عالم المصريات جاردنر ان نظراته تدل على التعصب وبلبلة الفكر مما يجعله نموذجاً للمصابين بالهوس ويتضح من كل ذلك لولا ان الموضوع فريد في بابه لما اثار كل هذا الجدل ونرى ان جيمس هنري برستيد يلخص في دراسة تاريخية كلاسيكية حكم اخناتون في الكلمات الاتية لقد ماتت تلك الروح التي لم يشهدها العالم من قبل)) (برستد، 1929، ص 151).

وفي رأي اخر لبرستيد يقول ((كانت تلك الروح الجسورة التي تصدت بكل شجاعة لتيار التقاليد العاتية ويقول عنه اول شخصية متميزة ومثالية في التاريخ ولكنه فوق ذلك كان اول الموحدين وأول الأنبياء العالميين فهو اعظم شخصيات الدنيا القديمة)) (برستد، 1929، ص 160).

وقد اختلف العلماء والمؤرخين في معلوماتهم عن اخناتون البعض قد مجده واوصله الى للنبوة والبعض الاخر هاجمه ووصفه بالضعف كونه اعطى الامور الدينية مكان اكبر من الامور العسكرية كما وصف هو سبب في انهيار البلاد وقد هاجمه بعض المؤرخون واتهموه بالجنون وعدم سلامة عقله. ومهما قال وقيل فقد امتلك اخناتون قوة عقلية عبقرية فذه وكان بلا شك فيلسوف ومثقف بالأمور الدينية كرس حياته لتغيير رائعة

ستظل أحد معالم الحضارة المصرية القديمة بل واحدة من اقوى الافكار الدينية الجديدة (برستد، 1929، ص 161).

ان الفرق بين الديانات ان الديانة الرسمية قبل وبهد اخناتون عبارة عن تصنيف وتجميع هائل يوحد صفات الالهة الكبار مثل امون في طيبة و رع في هيلوبوليس ويتاح في منف حيث الافضلية للسلطة دون قوة العقيدة وتؤخذ بعض الديانات المحلية في الاعتبار وعقيدة اخناتون الجديدة انكرت هذا التوفيق وسلمت بشريعة تفريدية على النهج الهليوبولتباني فاتخذت الهاً واحد هو رع حور اختي الذي يتألق في الافق بمظهره شو (النور) ويمكن في قرص الشمس (اتون) كانت اكثر نضوجاً من الافكار الاخرى المنتشرة في تلك المدة وربما كان في داخله اراد ان يتخلى عن المعتقدات والخرافات وان شخص يظهر بهذه الافكار في ذلك الوقت يمكن ان يقال انه ذو عمق فكري كبير (برستد، 1929، ص 172).

يقول جون ولسون : ان اخناتون لم يخترع قرص الشمس الذي يمد الناس بالحياة كرأي فلسفي احتفظ اخناتون بالكثير من مظاهر العبادة الهليوبولياتية فمثلاً معابد آتون في الكرنك والعمارنة ومنف وهيلوبوليس الخ . ولعبت الاله ماعث ابنة رع دوراً كبيراً في ديانة اخناتون وهي تمثل الصدق والعدل والحق اذن هي النظام الكوني التكامل ولما كان اخناتون والهه اتون يعيشون على ال ماعث رمزت أيضاً الى الصراحة بمعناها الواسع يعنينا هنا هو الحرية التي كانت ابرز صفات الديانة الجديدة. (ويلسون، 1965 ، ص 244)

اختلف المؤرخون في الحكم على شخصية اخناتون إذ لم يلق الاحترام والتبجيل عند بعضهم لأنه كان السبب في ضياع الامبراطورية المصرية

في سورية فقد كان صراعه الداخلي مع كهنة امون السبب المباشر لإضعاف مصر وضياع الامبراطورية المصرية (أحمد، 2012، ج1، ص 234).

ارتقى بعض المؤرخين بأخناتون الى درجة عالية من الطهر وحب الانسانية فهو لم يقاتل في سورية بسبب حبه للإنسان وحبه للسلام، وحسب رأي آخر من المؤرخين كان اخناتون فيلسوفاً وفناناً مرهف الحس والشعور وكره قتل الانسان لأخيه الانسان ولذلك صدق برستد حين قال عنه (اول شخصية متميزة في التاريخ). (أحمد، 2012، ج1، ص 235).

الثالث: مدينة اخناتون تل العمارنة

لم تكن فكرة نقل عاصمة الملك الى "اختاتون" من حقده على الكهنة او غضب منهم بال كان الغرض منها ايجاد مكان امن للديانة الجديدة لتكون قاعدة لنشر الديانة الجديدة في كافة ارجاء الامراطورية لنشر المذهب الجديد ولتكون مركز حكم مركزي في مصر وبلاد النوبة .(حسن ، 2000، ج5 ، ص 271).

وعندما حدث خصام بين كهنة امون واخناتون اضطر اخناتون ان يهجر طيبة ويتخذ من اخت اتون عاصمة جديدة له والى اله جديد (ارمان ، 1995 ، ص 102).

لذلك اختار امنحوتب الرابع لعاصمته الجديدة مكاناً يقع على بعد (320كم) شمال طيبة على البر الشرقي لنهر النيل واستمر البناء في المدينة خمس سنوات (لالويت، 2005، ص 600).

كان قرار اخناتون بأنشاء عاصمة حكم جديده لألهه وقصر الملكي حيث اراده من الاختيار لا يربطه اسمه بالمكان او أي مخلوق بشري حيث تقع تخوم العاصمة بين طيبة ومنف بالقرب من قرية العمارنة بمصر الوسطى سمها اختاتون (تشرتي، 1996، ص 82).

اعتبر اخناتون عاصمة (اخت اتون) مدينة مقدسة لا يدخلها الضلال واقام حول حدودها عدداً من اللوحات التي تحمل نصوصها تمجيداً له ولآتون ولتحدد المعالم التي تمتد اليها عاصمته المقدسة (الجمال ، 2012، ص 204).

وقبل مغادرة اخناتون مدينة (طيبة) قد سمى مدينته ضوء (اتون) العظيم (حسن ، 2000، ج5 ، ص 268).

وقام الملك بخطوة حاسمة وقطع صلته بكل ما كان له قيمة في الماضي فأعطى لمصر عاصمة جديدة لمملكة الهية لا يسمح فيها بوجود اله سوى اله الشمس مع ذلك لم يهدم الملك مدينة آبائه ولكنه لم يطق العيش اكثر من هذا في مدينة امون فاختار لنفسه ولإلهه مكاناً جديداً في المنطقة التي نسميها اليوم تل العمارنة وهي تتوسط مصر إذا قيست كل مساحتها وقد كان يوجد على الضفة الشرقية للنيل سهل واسع صحراوي وكان مكاناً مثالياً لتشييد العاصمة العظيمة التي كان الملك يريدها والتي سميت (اخت اتون) أي افق الشمس .(ارمان ، 1995 ، ص 170).

تقع اطلال مدينة داعية التفريد اخناتون (1350–1367) ق.م. التي اطلق عليها اسم اخناتون واتخذها عاصمة لمصر وإمبراطوريتها منذ العام السادس من الحكم حتى بداية حكم (توت عنخ امون) وتمثل اخناتون في الوقت الحاضر قرى : بني عمران والحاج قنديل والعمارنة ثم الخرائب القليلة التي تقع على طول المدينة القديمة ومن وراءها المقابر . هذا وقد عرفت مدينة اخيتاتون (افق اتون) لدى الباحثين المحدثين باسم تل العمارنة وان التسمية الاكثر دقة لدى الباحثين هي العمارنة (مهران، د.ت، ج 1 ، ص 32).

وليس من شك في ان الهوة التي كانت بين الملك الشاب وكهان (امون) بلغت في العام السادس من حكم الملك منفرداً حداً جعل الاخطار تحف به بل تعرضت حياته لمؤامرات هدفها القضاء عليه وان كهنة امون اعتقدوا ان الملك المريض الهزيل شوقه يتمثل لهم ويتراجع عن بناء العاصمة الجديدة وعن الاصلاح الديني لكن الملك اصر على تنفيذ الاصلاح الديني (عبد المنعم، 1961، ج1، ص 80).

واستحال على الملك البقاء في طيبة وقرر تشييد عاصمة جديدة اختار لها مكاناً يتوسط تماماً المسافة بين منف العاصمة القديمة في الشمال و طيبة في الجنوب وهما العصمتان اللتان تبادلتا الحكم في التاريخ المصري هذه هي (اخيتاتون) (افق اتون) واخذ الملك ينفذ هذا المشروع الكبير في عامه السادس أيضاً وترك لنا نصاً مسجلاً فيه طريقة اختياره لمكان عاصمته الجديدة وانه هاجر اليها بمحض ارادته وانه تلقى الوحي لذلك من الهه وليس لأحد فضل ما في اتخاذه لهذه الخطوة .(عبد المنعم، 1961، ج1، ص 81).

اتصل القصر الملكي بمعبد آمون وتناثرت قصور النبلاء والاشراف ومنازل الاتباع والخدم الى الشمال والجنوب من القصر الملكي ومن الغريب ان تخطيط المدينة لم يقسمها الى قسمين احدهما لقصور العظماء والاخر لمنازل الاتباع بل اختلطت المنازل الصغيرة مع القصور الشامخة (عبد المنعم، 1961، ج1، ص 83).

اقسم الملك قسماً اصبحت بمقتضاه المساحة الواقعة بين نصب حدود اخت اتون –وهي مساحة عرضها ثلاثة عشر كيلومتراً وطولها عشرون كيلواً – ملكاً لاتون جبالاً وصحاري وحقول من كل الانواع ... مياه وقرى وشواطئ وأناس وقطعان أي كل ما خلف ابي اتون (ارمان ، 1995 ، ص 171).

انتقل اخناتون تصاحبه عائلته ورجال بلاطه وكبار موظفيه الى هذه المدينة الجديدة المدينة التي اتخذها عاصمة لمصر في عهده واقسم يميناً سطره على لوحات الجدود بأنه لن يغادرها أبداً (لمبوزاده ، 2008 ، ص 95).

ثم بدأ في مكان لم يكن فيه شيء من قبل – بناء مدينة كبيرة– بمعابد وقصور وشوارع طويلة على جوانبها بيوت وحدائق وقد اشترك جميع المهندسين والنحاتين في هذا العمل الفخم (ارمان ، 1995 ، ص 171).

ان عملية الاختيار عاصمة اخناتون جاءت من الفرعون نفسه حيث اصبحت مدينة مقدسة حيث اصبح الموقع الجديد كانت مركزاً دنياً لعبادة الاله اتون ولاعطاء القدسية الكاملة منع من دخول أي شيء له علاقة بالحياة الدنيا (ارمان ، 1995 ، ص 175).

وعرفت مدينة (اخيتاتون) (افق اتون) لدى الباحثين المحدثين باسم تل العمارنة واهم اسباب بناء مدينة العمارنة وترك العاصمة العتيقة (طيبة) ما زعمه اخناتون من ان فؤاده هوى الى ذلك المكان الحبيب بعد أن اختاره له ربه اتون وهواه اليه فضلاً عن ان يتخذ مركزاً للعبادة الجديدة وقاعدة تنطلق منها هذه العبارة دونما أية عثرات دون أي تدنيس لدعوته من أثر الخزعبلات (مهران، د.ت، ج 1 ، ص 32).

وهكذا خطط اخناتون مدينته الجديدة (اخت اتون) لتصبح الدينة الجديدة محط انظار الجميع فيما بعد ولتكون المركز السياسي والديني الجديد الذي سوف ينشر مذهبه الذي أريد له ان ينفذ الى اقطار الدنيا المعروفة يومئذ وقد غدت مرتبة (اخيتاتون) بحق مطمع أبصار الناس من كل فج في تلك الايام الخوالي فهي جديدة في وصفها وفي تخطيطها وفي قصورها ومعابدها ودورها ومفاتن الحياة فيها فقد كانت مدينة اخيتاتون تختلف عن بقية المدن المصرية – وهي المدينة التي بنيت دفعة واحدة وفق تخطيط موضوعي مدروس فضلاً عن أنها إنما بنيت ارض صحراوية وعلى مساحات تسمح بامتداد مبانيها واتساعها الامر الذي لم يكن متاحاً في منف وطيبة وغيرهما من المدن التي كانت مكتظة بسكانها الامر الذي ألجأ الاغنياء من القوم الى بناء عدة طوابق في منازلهم . انما تصميم طول المدينة جاء غير متناسق مع عرضها (مهران، د.ت، ج 1 ، ص ص 33–34).

المبحث الثالث: العوامل التي أدت الى فشل ثورة اخناتون الدينية

الاول: الديانة الاتونية ديانة اتن

تعود ديانة اتن اقدم ديانة موحدة في تاريخ العالم وهي الى جانب هذا كانت ديانة عالمية أراد مبدعها أن تسود المناطق خارج حدود مصر القديمة وتتميز هذه الديانة عن سواها من الديانات شعوب العالم بأن رحمة الهما لم تكن مقصورة على الشعب المصري بل وسعت رحمته الشعوب الاخرى فقد جاء في تسابيح للإله اتن إنه خلق نيلاً على الارض للمصريين ولكنه خلق في السماء نيلاً للأجانب وهو الذي يعطي الحياة أيضاً لكل البلاد الاجنبية(أحمد، 2012، ج1، ص 206).

اراد اخناتون ان يكون الدين في متناول جميع الناس وليس طقوساً واسرار يمتهنها كهنة غايتهم الانتفاع والنفوذ وحظوة بالمراكز والمناصب ففي الجانب الديني جعل المراسيم والطقوس الدينية تتم في الهواء انطلق عياناً وليس في أقبية المعابد المظلمة بعيداً عن أعين الناس (الجمال ، 2012، ص 205).

اراد اخناتون من خلال الديانة الاتونية ان يعم السلام في مصر والعالم كله واراد ان يجمع شعوب الامبراطورية بدين واحد لكي يسهل عليه ان يدير شؤون الامبراطورية المصرية الكبيرة آنذاك وذلك لأنه كان يكره سفك الدماء هذا مناقض للعقيدة الاتونية لأنه يدعو الى السلام والمحبة (عبد المنعم، 1961، ج1، ص 42).

وتتصف ديانة اتون بصفتين رئيسيتين او بالضبط بمبدأين دينيين المبدأ الاول هو حبه الحياة الارضية وعبادة الحياة الارضية لم تتعارض مباشرة مع عبادة الحياة الاخرى وجسد حب اخناتون ونفرتيتي والحب الابوي لا ينتهما على مسلات الاخناتونية ورسومات صر اخناتون وظهر لأول مرة في الفن الاخناتوني مناظر طبيعية تمجيد جمال الطبيعية الكثير من القاعات زينت بمناظر على الارض ممرات جدران جانبية عليها وفي الاعلى السماء تحلق فيها طيور . (العلامي، 2010، ص 153).

والمصادر التي يمكن الاعتماد عليها لتقصي هذه الحركة الدينية تتمثل في (لوحات الحدود) التي اقامها لتحديد حدود مدينته الجديدة وما تبقى من معابد اتون في الكرنك وغيرها واهم تلك المصادر انشودتان منقوشتان على جدران بعض المقابر في تل العمارنة ويرجح ان الانشودة الصغرى من وضع اخناتون نفسه ام الانشودة الكبرى فليس ثمة دليل على وضعها وان كانت كلتا الانشودتين قد صيغتا بنفس الاسلوب والعبارات المتقاربة وقد عمد البعض من المؤرخين الى مقارنة ما ورد في الانشودة الكبرى مع ما جاء في المزمور (103) من مزامير النبي داود (ט) لما بينهما من تقارب في المعاني وفي الغنائية الصوفية التي تتحليان بها . وهذه بعض المختارات من نشيد اخناتون والمزمور 103 (الجمال ، 2012، ص 205).

نشيد اخناتون	المزمور 103
انت تبزغ ببهاء في افتن السماء	0001 ايها الرب الهي لقد عظمت جداً جلالاً –
انت اتون الحي بداية الحياة	وبهاء لبست
عندما تشرق في الافق الشرقي تملأ الارض	2. انت الملتحف بالنور كرداء الباسط السماء
كلها بجمالك	كسجن

والمبدأ الثاني لديانة الاتونية هو حب الحقيقة وتطلب التتبع في كل شيء والحقيقة فقط وهذا انعكس بوضوح في الفن .(العلامي، 2010، ص 154).

واعتمد الباحثون على عدة مصادر استطاعوا بواسطتها دراسة ديانة اتن ومن أهم هذه المصادر لوحات الحدود التي يقدر الباحثون عددها بنحو اربع عشرة لوحة والنقوش الكتابية التي كتبت على جدران المقابر من هذا العصر وبقايا معابد اتن في معبد الكرنك او في غيره فقد اقام اخناتون معابد لآلهة لكي يتعبد فيها الناس.(أحمد، 2012، ج1، ص 206).

ثانياً : العوامل التي أدت الى فشل ثورة اخناتون الدينية

نعود فنقول بينما كانت المدينة الجديدة تموج بأتباع اخناتون يبتهلون لاتون ويترنمون بأنشودته كان العمال والصناع يعملون على تنفيذ اوامر الملك في محو اسم (امون) من كل عمائده والتنكيل بكهانه واشتد النزاع وانتشر الفزع وعم اليأس اهل طيبة ومرت الايام والحالة تزداد سوءًا والعراك يشتد تأججاً وهنا اضطرت الام الملكية (تي) الى ان تتدخل وظلت هذه السيدة تعيش في قصرها بطيبة بعد موت زوجها ولا شك انها احست بالخطر الداهم الذي اخذ يحيط بمصر كلها نتيجة لسياسة اخناتون واخذت تسعى لتخفيف وطأة الازمة وذهبت الى اخناتون كي تنصحه وترشده ويبدو انه استمع الى والدته .(عبد المنعم، 1961، ج1،ص 113).

كان غنى كهنة امون السبب الرئيس لتدخلهم في شؤون الحكم مما دعا اخناتون الى تحريم عبادة امون واغلاق معابده ومصادرة املاك هذه المعابد وتسريح العمال الذين كانوا يقومون بأعمالها المختلفة ونتج عن فعل اخناتون هذا ان عمت البطالة مصر وساد الكساد كثيراً من المهن التي كانت مرتبطة بديانة امون خاصة والديانات المصرية عامة وذلك بسبب اقتصار العبادة على اتن وعدم تجسيده (أي اقامة التماثيل له ..(أحمد، 2012، ج1، ص ص 222–223).

وهكذا توقفت النذور للآلهة من الخبز (الكعك) وقد ابطلت في عهد اخناتون الكتابة على لفائف البردي اذ كانت تكتب النصوص الدينية الطويلة المنقولة من كتاب الموتى .(عبد المنعم ، 1961، ج1، ص 223).

هناك عومل شديدة في فشل ثورة اخناتون الدينية الداعية الى معبود واحد هو الاله آتون (الجمال ، 2012، ص 116). وفي مقدمة هذه العوامل ان (اخناتون) كان في بدء دعوته ما يزال شاباً طري العود قليل الخبرة والتجربة يعوزه النضج السياسي لهذا لم يقم وزناً للقوى النافذة التي اصطدم بها والتي كان لها تأثير

كبير في الحياة العامة في مصر واستطاعت ان تفرض نفسها على اخناتون والملوك الذين جاءوا بعده الى الحكم (عبد المنعم ، 1961، ج1، ص 217).

وهناك سبب آخر الى فشل الانقلاب الديني لأخناتون وهو ساءت احوال مصر الداخلية والخارجية لارتباط الواحد منها بالآخر ارتباطاً وثيقاً ففي الداخل تفرقت الامة الى شيع واحزاب متناحرة وقد قبع الملك في عاصمته ملكة (اخت – اتون) ولم يغادرها ليطلع على احوال الامة في الداخل واحوال الامبراطورية المصرية في بلاد الشام وقد وجد الطامعون الخيشيون الفرصة مناسبة للقضاء على النفوذ المصري في الشام و وافقهم على هذا عبدي عشرتا وابنه عزيرو . فتقاسما النفوذ في بلاد الشام ونتج عن هذا الاقتسام انقطاع جزء الممالك الشامية عن مصر وانقطاع تجارة مصر عن بلاد الشام مما ادى ذلك الى ان تكون مصر ضعيفة في السياسة الخارجية له والذي انعكس سلباً على وضع اخناتون وأدى الى سقوطه. (أحمد، 2012، ج1، ص 223).

وكان السبب في ضعف الامبراطورية المصرية والسياسة الخارجية لمصر بسبب ان بعض الذين يعملون في البلاط الملكي لم يطلعوا اخناتون على الحوادث التي كانت تحدث في بلاد الشام وكانوا دائماً يقولون لأخناتون ان الوضع على ما يرام ولم يبلغوه بحقيقة الامر خوفاً على مصالحهم وكانوا يظهرون لأخناتون الولاء له.(حسن ، 2000، ج5 ، ص 268).

وكانت القوة التي لها تأثير في الحياة العامة في مصر كانت تتشكل من افراد الاسرة الحاكمة والكهنة وكبار الموظفين وقادة الجيش الى جانب الاقطاع القديم الذي يمتلك الاراضي وما عليها من مزارعين وعمال ورعاة بالإضافة الى الارستقراطية التجارية والحرفية التي طغت على سطح المجتمع المصري في مرحلة الفورة الاقتصادية واضحى هؤلاء يشكلون طبقات متمايزة ومتماسكة ذات مصالح ونفوذ واسع ولم يكونوا جميعهم مستعدين للتخلي عن امتيازاتهم بسهولة (الجمال ، 2012، ص 117).

يضاف الى هذه العوامل عامل اخر هو ان العقيدة الجديدة طرحت مفاهيم ومعتقدات دينية وغريبة لم يعهدها المصري القديم والتسويق لهذه المفاهيم والمعتقدات كانت تستدعي عدد كبير من الدعاة والمروجين الاكفاء لنشر الدعوى في انحاء الامبراطورية او على الاقل على امتداد الاراضي المصرية وهو ما لم يكن متوفراً لأخناتون الذي حصر هذه المهمة بنفسه باعتباره الممثل الشرعي الوحيد لاتون على الاراضي ومدعوماً من قلة من المريدين الذين لم يكونوا مؤهلين للقيام بهذه المسؤولية الخطيرة ومحاطاً بعصبة من المتملقين والمنافقين الساعين الة الحظوة والجاه (عبد المنعم ، 1961، ج1، ص 217).

ومما زاد في احجام فئات واسعة من المصريين عن تأييد اخناتون والنقمة عليه احاطته لنفسه بحرس من المرتزقة الليبيين والنوبيين والاسيويين الامر الذي اثار العصبية الوطنية ضده خصوصاً اهل طيبة المتميزين بتلك العصبية والذين رأوا احد ملوك الاسرة الطيبية الحاكمة يعادي معبودهم (امون) ويلجأ الى المرتزقة الاعراب لحماية نفسه منهم.(عبد المنعم ، 1961، ج1، ص 218).

الخاتمة

من خلال بحث الموضوع التغيرات الدينية في مصر القديمة وظهور عبادة التفريد00 للإمبراطورية المصرية في عهد امنوفس الرابع (اخناتون). تبين لنا أنّ امنوفس الرابع (اخناتون) هو اول من دعى الى عبادة اله واحد وتفريده على باقي الالهة في التاريخ ومن خلال البحث عن هذه الجزئية في التاريخ المصري بشكل خاص وتقليب الادوار السياسية ومحاكات الجوانب الاقتصادية التي مرت على مصر القديمة و تباينه بين الهبوط والارتفاع وبين القوة والضعف ولكنها حتى في اصعب الظروف ظلت تتمتع بأوج الحضارة العظيمة التي اثرت وتأثرت بحضارات الشرق القديم لاسيما بعد عهد الدولة الحديثة ودخول بلاد الشام تحت السيطرة المصرية في عهد تحوتمس الثلاث عرفت خلالها ارفع مستويات الفنون والآداب والتطور الديني الكبير والنهوض العلمي الواضح وفي مدد ضعفها وقوتها كان الفكر الدين والتطور الحضاري ابرز سمات التاريخ المصري القديم بشكل عام هو ابداعها الحقيقي ان التوصل الى فكرة عبادة الاله الواحد الذي دعا اليه اخناتون في مصر القديمة اعتمدت في كتابة بحثي هذا على صفاته والقابه ونشأته والظروف التي مكنت هذا الامر ان يرى النور ومن خلال الاثار التي وجدوها في مدينة اخت اتون تل العمارنة التي كانت بها الاثار الابرز التي تدل على تلك افتره المهمة حيث ان هذا العاصمة لم يكن اكتشاف الجوانب الدينية وظهور هذا الفكر الجديد بل ايضا كانت مركز مهم لمعرفة العلاقات الدبلوماسية في ارجاء الشرق الادنى القديم ومن خلالها نشر الفكر الديني الجديد وهو عبادة الاله الواحد الذي جاء به اخناتون ومن خلال ذلك اعتمد عليها المؤرخون في اظهار الحقيقة التاريخية وهي عنوان بحثنا التغيرات الدينية في مصر القديمة وظهور عبادة التفريد00 للإمبراطورية المصرية في عهد امنوفس الرابع (اخناتون).

نحمد الله سبحانه وتعالى الذي مكننا من انضع هذه الفكرة البحثية بعد المشوار الذي خضناه بين تفكر وتعقل في " التغيرات الدينية في مصر القديمة وظهور عبادة التفريد للإمبراطورية المصرية في عهد امنوفس الرابع فإن وفقنا الله في اصابة ما هدفنا اليه ، فالحمد لله ، وان اخطأنا فلقد حصلنا على شرف المحاولة والتعليم .

المصادر والمراجع

- احمد، محمود عبد الحميد ، (2012) تاريخ وحضارة مصر الفرعونية. جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،.ج1.
- ارمان ، اودلف ،(1995) ديانة مصر القديمة نشأتها ونهايتها في اربعى الاف سنه . ط 1. مكتبة مدبولي، القاهرة .
- ارمان، اودلف ، (د.ت). مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، مكتبة النهضة المصرية. القاهرة
- اسمان، يأن ، (2006). التمييز الموسوي او ثمن التوحيد ، ط1 ، كولونيا ، بغداد.

- برستد، جيمس هنري (1929) تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي ، مكتبة مدبولي القاهرة .
- بكر، محمد إبراهيم ،(د.ت) صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديمة ، هيئة الاثار العامة. القاهرة.
- تشرتي، ياروسلاف ، (1996) الديانة المصرية القديمة ، ط1 . دار الشرق . القاهرة
- الجبوري ، عايدة عوض. (2007) ، الاله في اليهود والنصرانية ، جامعة البلقاء التطبيقية .
- الجمال، نجوى خالد ، (2012) الدور السياسي والحضارة لمصر الفرعونية ، بيروت .
- حسن ، سليم ، 2000، مصر القديمة. المجموعة الثقافية المصرية ، القاهرة ، ج5.
- الخطيب ، محمد ، (1991) الخلود فى حضارة مصر القديمة ، ط 1: دار اطلس. دمشق.
- دروزة، محمد عزة ،(1957). تاريخ الجنس العربي ، ط1 ، (صيدا : مطبعة العصرية ، ج (1) ،
- الدريد ، سيريل ، (1992) اخناتون ، ط1. الهيئة المصرية العامة ، القاهرة .
- الربيعي، إسماعيل نوري ، (2012) موسوعة التكوين البشرية ، ط1، مكتبة الحامد، عمان ،.
- رزقانة ، ابراهيم احمد ، واخرون (د.ت) حضارة مصر والشرق القديم، مكتبة مصر ، القاهرة
- طقوش، محمد سهيل ، 2010 موسوعة الحضارة القديمة ، دار النفائس القاهرة.
- عبد الله ، فيصل و مرعي، عيد، (2008)، المدخل الى تاريخ الحضارة ، ط (1) ، المعارف، القاهرة .
- عبد المنعم، أبو بكر، (1961)، اخناتون ، ط(1)، المكتبة الثقافية، القاهرة ، ج1.
- العلامي ، محمد ، (2010).أساطير مصر القديمة ، ط (1) ، دار الفكر، عمان
- فورد، دونالد ريد 2010، اخناتون ذلك الفرعون المارق ، دار الوفاء للطباعة ، اسكندرية.
- فيلافسكي ، ايمانويل ، عصور في فوضى ، ط1 ، (القاهرة : العروبة للدراسات والابحاث ، 2002).
- كمال، محرم ،(1937) تاريخ الفن المصري القديم ، مدبولي . القاهرة
- لالويت، كلير (2005)، طيبة وانشاء امبراطورية، ت/ماهر جويجاتى ، ط (1) ، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- لمبوزاده ، زكية يوسف (2008)، تاريخ مصر الفرعونية ، القاهرة .
- المرعي، يمان شمخي جابر.(2011) ، عقيدة آتون في الفكر الاخناتوني ، مجلة آداب ذي قار ، العدد 2 ، المجلد (1) .
- مكاوي ، فوزي ، الناس ومصر القديمة ،(1995) : مطابع المجلس الأعلى للاثار. القاهرة .
- مهران، محمد بيومي ،(د.ت) مصر والشرق الأدنى القديم ، دار المعرفة : كلية الاداب ، جامعة الإسكندرية ، ج 1 ،
- مهران، محمد بيومي، (1988)، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى، ط4، دار المعرفة الجامعية الفنية للطباعة والنشر، الإسكندرية ج3.
- هورنونج ، أريك ، (2010) اخناتون وديانة النور ،: الهيئة المدنية العامة . القاهرة.

Religious Changes in Ancient Egypt and the Emergence of the Cult of Individualization of the Egyptian Empire During the Reign of Amenophis IV (Akhenaten)

Prof. Dr. Laith Khalil Khalaf
History Department at Al-Mamoun University College
Laithkhalil@yahoo.com

Abstract

Religion had an important role in the countries of the Nile Valley. There was no force controlling the life as religion did; they used religion to explain the phenomena surrounding them. Man's life is not affected by religion only, but it was mixed with the nature which was the first preacher of religion. Man interpreted the natural phenomena that he was unable to understand as belonging to supernatural powers far from the scope of his thinking; he feared from those phenomena which called him to respect them and offer the sacrifices. From here the religion arose.

Although man did not see these powers except that he believed in their existence, he created in his imagination images of them, and conceived them as human beings that could be satisfied with offerings, until he settled in his awareness of the spiritual connection between himself and the gods. So, he loved them and relied on them. Egyptians did not have a single religion, there was an official religion, and there were beliefs and popular sanctities for every village or city that go side by side without fanaticism or rivalry.

Keywords: Religious changes, ancient Egypt, cult of individuation, Amenophis IV - Akhenaten